

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي -

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

رمز الطبيعة الحية في الشعر العربي الحديث

من خلال آثار إيليا أبي ماضي

مذكرة تخرج مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الدكتور:

* حسين مشاره

إعداد الطالبتين:

* جهاد ديدي

* زبيدة علال

لجنة المناقشة

الجامعة	الصفة	الأستاذ
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	رئيسا	د. حمزة حمادة
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مشرفا ومقررا	د. حسين مشارة
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مناقشا	د. العيد حنكة

السنة الجامعية: 1443-1444هـ / 2022-2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

نحمد لله عز وجل الذي وفقنا في اتمام هذا البحث العلمي والذي ألهمنا الصحة والعافية

والعزيمة فالحمد لله حمداً كثيراً

نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الدكتور المشرف " حسين مشاركة " على كل ما قدمه لنا

من دعم وتوجيه وإرشاد لإتمام هذا العمل على ما هو عليه فله أسمى عبارات التقدير والتثناء

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة على قبولهم مناقشة هذا العمل

المتواضع.

كما لا يفوتنا أن نشكر كل أفراد عائلتنا الذين وقفوا بجانبنا وإلى كل من كان لنا

سنداً وعونا من أجل إتمام هذا العمل.

ونرجو في الأخير أن نكون قد وفقنا لإنجاز هذا العمل البسيط فان أصبنا فمن الله وإن

أخطأنا فمن النفس الشيطان، وشكراً

" جهاد & زبيدة "

الحمد لله عز وجل على منه وعونه لإتمام هذا البحث اما

إهداء

بعد:

أهدي ثمرة جهدي هذه إلنالتى ضحت وكافحت من أجلي

أنت يا من تملكين تحت أقدامك الجنة، رببتى فأحسنت تربيتى

وتعبتين من اجلى امى نور عىنى وحبىبة قلبى يامن افضلك

حتى على نفسى، حفظك الله و ادامك تاج فوق الراس.

إلى الذى كد وتعب فى توفير كل سبل السعادة لنا بكل حب وإخلاص أبى الغالى أنت

الظهر الذى يحمىنى ويسندنى حفظك الله ورعاك واطال فى عمرك.

إلى إخوتى وهم سندی وقوتى واتكائى فى هذه الحىاة، دمت لى سندا لا ىنتهى.

إلروح فقیدتیوگالیتى " خالتى " أنت رحلتى عنا لكن تبقىن دائما فى قلوبنا اللهم ارحمها

واسكنها الفردوس الأعلى.

قم للمعلم وفه التبجىلا كاد المعلم أن ىكون رسولا

إلى رمز العلم والمعرفة إلى معلمى وأبى الثانى الذى تعب من أجلي والذى رافقتى فى

كامل مشوارى الدراسى حناى محمد.

أهدى عملى هذا إلى دكتورنا ومشرفنا حسین مشاركة الذى ساعدنا كثيرا لإتمام هذا العمل

دمت مصدراً للخیر والعطاء.

إلى كل عائلتى وزمىلاتى فى مشورى الجامعى

جهاى دىدى

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذه إلى أغلى ما أملك في كل هذه
الدنيا إلى نبع الحنان والعطاء "أمي"، إلى التي صبرت وتحملت
من أجلنا الكثير والكثير سندي في كل وقت وفي كل مكان، إلى
التي دعواتها ترافقني دائما وتتبعني في أنجاز عملي، فأنا هنا
اليوم بسبب دعائها الصادق الخالص من القلب فيا رب احفظها وأرح قلبها وأطل في عمرها
ومتعها بالصحة والعافية، وأدامها تاجا فوق رؤوسنا.

إلأولادي نور حياتي عيني التي أرى بها، قلبي الذي أحيا به حفظهم الله لي وجعلهم
سندي ومأمني وظهري الذي يحميني.

إلى الروحين اللتين فارقتا حياتنا ولم تفارقا قلوبنا "أبيوزوجي" الغاليين كنتما لي عصا
أتكئعليها فلا أتعب ولا أذبل بوجودكما، نعم فارقتا جسداكما لكن روحكما أحسها تقف في ظهري
دائما، رحمكما الله وأسكنكما الفردوس الأعلى.

إلى أخواتي حبيباتي وأبنائهم الذين يمسكون يدي في كل درب أسلكه فلا أخاف ولا أتعب
بوجودهم، أراح الله قلوبكم وأدامكم لي السند الدائم.

إلى أمي الثانية التي تشجعني على إكمال مشواري الدراسي الجامعي "أم زوجي" أطال
الله عمرك وحفظكم كل سوء.

إل كل زميلاتي وصديقاتي وأقاربي

إلى أستاذنا الفاضل الذي وافق على الإشراف على مذكرتنا هذه إلى الذي كان مرافقا لنا
خطوة بخطوة إلى الذي قدم لنا كل النصائح والإرشادات بكل إخلاص وأمانة فشكرا له على
مجهوداته وعلى دعمه لنا.

زبيدة علال

مَقْدَمَةٌ

يعد الرمز موضوع واسع وشيق حيث لجأ الى استخدامه الكثير من الشعراء حتى انه اصبح ملاذهم الوحيد لترجمة أفكارهم و عواطفهم .
كما يريدون توصيلها لذهن المتلقي ،وكذلك لزيادة العمق في القصيدة و إعطائها جمالا حيث ان هناك أفكار و مشاعر اضطر الشعراء الى اخفائها و عدم التصريح بها في زمن اصبح كله ظلم و استبداد و كبت للحريات ،فاستعملوا الرمز كوسيلة تشفير لتلك الأفكار ويشد انتباه القارئ لفك تلك الرموز و رؤية ما تحمله من معاني باطنية عن ظاهرة حتى اصبح لموضوع رمز الطبيعة النصيب الاوفر والاهمية البالغة في شعرنا العربي المعاصر ،فكان سبب اختيارنا لهذا الموضوع هو:

- أن جل القصائد العربية المعاصرة أصبحت تحمل رموز الطبيعة بكثرة في محتوياتها خصوصًا في أشعار إيليا أبي ماضي لذلك اخترنا الغوص في قصائده ورموزها.
- بالإضافة أيضا إلى ان أشعاره تحمل متعة كبيرة عند قراءتها والتعمق فيها، كونه متميزا في أفكاره وفي اختيار ألفاظه وأسلوبه فيدغدغ بذلك قلوب ومشاعر القراء ويحتوي أفكارهم.
- ومن كل هذا أصابنا فضول كبير ورغبة شديدة في الاستمتاع بقراءة أشعاره وفك رموزها وفهم محتواها العميق المؤثر في النفوس.
- وللسير في طريق البحث في تلك الأشعار وجب علينا الاطلاع على الكتب التي تناولت عناصر هذا البحث، فنذكر منها:
- الجامع الكبير في تاريخ الأدب العربي الحديث لحنا الفاخوري، بالإضافة إلى الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر لمحمد فتوح احمد

- كتاب الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية لعز الدين إسماعيل .

ومن هنا نطرح التساؤل التالي :

ماهي الرموز التي استخدمها الشاعر إيليا أبو ماضي في قصائده ؟
وللإجابة على هذا السؤال قمنا بدراسة فنية اعتمدنا فيها على وصف الرمز والطبيعة و تحليل الرموز في قصائده ، و للسير في هذا البحث وضعنا خطة محكمة العناصر وهي كالتالي :

مدخل: ويتضمن نبذة عن حياة الشاعر إيليا أبي ماضي، ثم فصلان يندرج تحت كل فصل منهما أربعة مباحث مكملة لبعضها البعض فكان الفصل الأول بعنوان " حقيقة الرمز " حيث تضمنت مباحثه الأربعة كلّ ما يتعلق بالرمز ، مفهومه وأنواعه وخصائصه وأسباب بروزه في الأدب العربي.

أمّا عن الفصل الثاني فكان حول الطبيعة الحية واحتوت مباحثه على كل ما يرتبط بها من تعريف للطبيعة الحية والميتة وأهميتهما ثم عرضنا بسطاً حول الطبيعة في العصر الحديث.

أما الفصل الثالث والأخير فقد عرضنا فيه رمز الطبيعة الحية في شعر إيليا أبي ماضي واحتوت مباحثه أولاً على رمز الطبيعة الحية وبناء الصورة، ثم رمز الطبيعة الحية وعلاقات البديع، وبعدها رمز الطبيعة الحية وتنوع الأساليب، أما عن المبحث الرابع فكان عبارة عن رمز الطبيعة الحية ودوره في شعر إيليا أبي ماضي.

وبعد كل هذا البحث وكل باحث واجهتنا صعوبات وعراقيل نذكر أهمها قصر الوقت مع مثل هذا الموضوع الطويل المتشعب الاطراف.

وفي الختام نشكر المولى عز وجل على إتمام هذه المذكرة راجين التوفيق والسداد،
كما نشكر استاذنا الفاضل (حسين مشاركة) الذي كان لنا نعم المرشد ونعم العون والناصح
والذي لم يبخل علينا بشيء وساعدنا كثيرا، كما نشكر كل من كان لنا السند في مشورانا
هذا.

مدخل

نبذة عن حياة الشاعر إيليا أبي ماضي

نبذة عن حياة إيليا أبي ماضي

1- تاريخه:

إيليا أبو ماضي هو شاعر عربي مهجري معاصر عاش في عائلة بسيطة، ولد في قرية المُحيدثة من قضاء المتن بלבنا سنة 1889م، وكانت مدرسة القرية أول بيت علم دخله ونال فيه من العلم ما استطاع نيله، وفي سنة 1902م انتقل إلى الإسكندرية وعمل في التجارة¹، حيث كان له عم يشتغل في بيع السجائر، وفي ذلك يقول أبو ماضي " وفي الاسكندرية تعايطت بيع السجائر في النهار في متجر عمي، وفي الليل كنت أدرس النحو والصرف تارة على نفسي وتارة في بعض الكتاتيب"²، وهكذا راح الفتى يحصل من العلم ما استطاع التحصيل إلا أن كانت في سنة 1911 أول إصداراته فأملدديوانها لأول بعنوان " تذكارات الماضي".

إلا أن الحياة في مصر لم تقدم له كل ما كان يصبو إليه وفي سنة 1912 هاجر إلى الولايات المتحدة التي جذبت الألوفا من أبناء وطنه، واستقر في مدينة سنسنتي إلى جانب أخيه مراد، فأخذ يعمل في التجارة ويملا أوقات فراغه بالدراسة والمطالعة ونظم الشعر، وفي نفس السنة 1916م، انتقل إلى نيويورك وإلى حياة الصحافة والأدب فعهد إليه في تحرير " المجلة العربية"، وفي سنة 1918م عهد إليه في تحرير مجلة "مرأة الغرب"، لصاحبها "نجيب دياب" وفي سنة 1936 حولها إلى جريدة يومية وكان في سنة 1920 قد اشترك في تأسيس الرابطة القلمية وفي سنة 1957م توفاه الله وهو لا يزال في أوج نشاطه الصحافي والشعري²، وإيليا أبو ماضي هو شاعر عربي لبناني يعد من أهم شعراء المهجر، حيث إنه نشأ في عائلة فقيرة ميسورة الحال، لذلك نجده قد اضطر للعمل في التجارة منذ صغره ولم يكن متفرغاً للدراسة حيث كان يعمل ويدرس في آن وأحد وقد اشتهر بفلسفته التي تطغى عليها نزعة التفاؤل وحب

¹- ينظر حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الادب العربي الحديث، الطبعة الاولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1986، ص 590

² - ينظر المرجع نفسه، ص 591

مدخل: نبذة عن حياة الشاعر إيليا أبي ماضي

الحياة والحنين إلى الوطن، وهو أحد مؤسسي الرابطة القلمية سنة 1920م، فكان شعره من النوع الذي لا يمكن نسيانه، وكان مثالا يستشهد به في كثير من مواقف الحياء.

2 - مؤلفاته:

كتب إيليا أبو ماضي العديد من الدواوين التي نشرت بين الناس فأصبح بذلك من أشهر وأفضل الشعراء الذين عرفهم التاريخ الأدبي ومن بين الدواوين تذكارات الماضي. لإيليا أبي ماضي عدة دواوين شعرية نشر منها في حياته " تذكارات الماضي سنة 1911م" وديوان أبي ماضي سنة 1918م، والجداول 1927 م، والخمائل 1946م، وبعد وفاته أي سنة 1960م نشرت له دار العلم للملايين في بيروت ديوانها الأخير بعنوان " تير وتراب"¹. يعد إيليا أبو ماضي من الشعراء المشهورين الذين خلفوا وراءهم أعمالاً أدبية ناجحة، وترك بصمته الخالدة للقراء والكتاب.

3 - أطوار شعره:

تطور أبو ماضي في شعره تطورا ملموسا، ففي مرحلته الأولى اتجه اتجاهها قديما، وكان في هذا الاتجاه غير واضح الشخصية وكانت نزعتة الإنسانية فيه ضعيفة المطمح ضعيفة الأثر وهكذا كان شعره قبل انضمامها إلى الرابطة القلمية شعرا تقليديا اعتمد فيه على الموازين الشعرية الخيلية في غير تصرف ولا تفنن ويعنى فيه عناية كبيرة بالألفاظ والتعبيرات، وكثرا ما يؤثر البحور الطويلة والمطالع الفخمة ويعمد إلى معارضة المتبني وأبي العلاء المعري وأبي نواس والبارودي في بعض قصائدهم.

وفي المرحلة الثانية (مرحلة الجداول) انضم إيليا أبو ماضي إلى الرابطة القلمية ونقل إليها الشكل الشعري التقليدي، إلى التعبير عن مجالي الروح، ويرسل تعبيره في غير عناية كبيرة، مؤثرا أن يتحول بالقصيدة من هيكل صناعي إلى قوة عضوية تامة فأصبحت القصيدة

¹ - المرجع نفسه، ص 592

مدخل: نبذة عن حياة الشاعر إيليا أبي ماضي

بيديه كلا كاملا ووحدة واحدة وحياة متدرجة نامية...، صحيح أن هذه الوحدة كثيرا ما تبدو رومانسية في مادتها وفلسفتها ولكنها على أية حال خطوة جديدة في الشعر العربي، وهي كذلك لأنها معدومة النظير قبل أبي ماضي ولكن كان الشاعر اعترف بها قاعدة للشعر فأصبحت أجزاء مؤلفه على نحو من الترتيب والنظام ولعل أكبر ميزة لأبي ماضي بعد انصرافه عن دور التقليد إنما تتمثل في هذا الاتجاه الذي اختاره الشاعر، ولذلك لم يقيد أبو ماضي نفسه بالشكل وتهاون بعض الشيء في ما كان يحرص عليه من جزالة وترك قوة الخلق هي صاحبة السيطرة على منحى القصيدة وهيكلها الخارجي ولم يكن ثائرا على طبيعة القصيدة العربية في شعره كما يفعل المجددون اليوم، بل ذهب مع مقتضيات القصيدة نفسها وهذا ما أوصله إلى أسلم النتائج، فقد تتطلب القصيدة منه تنوعا في الوزن أو ترديدا أو تغييرا في القافية وللقصيدة ذلك أن كان لا يتعارض مع نموها وسردها أو يساعد عليهما وقد استطاع أبو ماضي أن يثبت لنا أن الثورة على الشكل وحده ليست ثورة حقيقية وأن العيب ليس في طبيعة القصيدة العربية بل في نوع الانفعال ودرجته وقدرته على لم التجارب وجمعها جمعا جديدا¹، وهذا يعني أن الجانب الفني في شعر أبي ماضي قد أخذ حظه من التجديد والتبديل إلى رؤيا مستحدثة تتماشى مع ما استجد في شق القول الفني من الاتجاه الرومنسي.

4- مميزات شعر إيليا أبي ماضي:

تميز شعر إيليا أبي ماضي بمرحلتين هما :

- مرحلة التقليد ومرحلة التجديد.

نجد في مرحلة التقليد في دواوينه الأولى تذكارات الماضي، ديوان إيليا أبو ماضي حيث في مرحلته الأولى لم تكن له خصائص مطردة متفردة مميزة لشعره.

¹ - ينظر المرجع نفسه، ص 592-593

مدخل: نبذة عن حياة الشاعر إيليا أبي ماضي

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التجديد التي تحرر فيها الشاعر من كل القيود القديمة وأبدع فيها في دواوينه الأخرى وظهر التجديد من خلال ابتكاره للصور والمعاني الجيدة وبساطة ووضوح الأسلوب.

ويصطبغ شعر أبي ماضي بالصبغة الفلسفية فهو يحب الحياة ويحب الأحياء فيها ويصورها للناس نقية حلوة ويستهدف سعادة المجتمع، ويدعوه إلى تنقية الحياة من الأشواك والأدران.

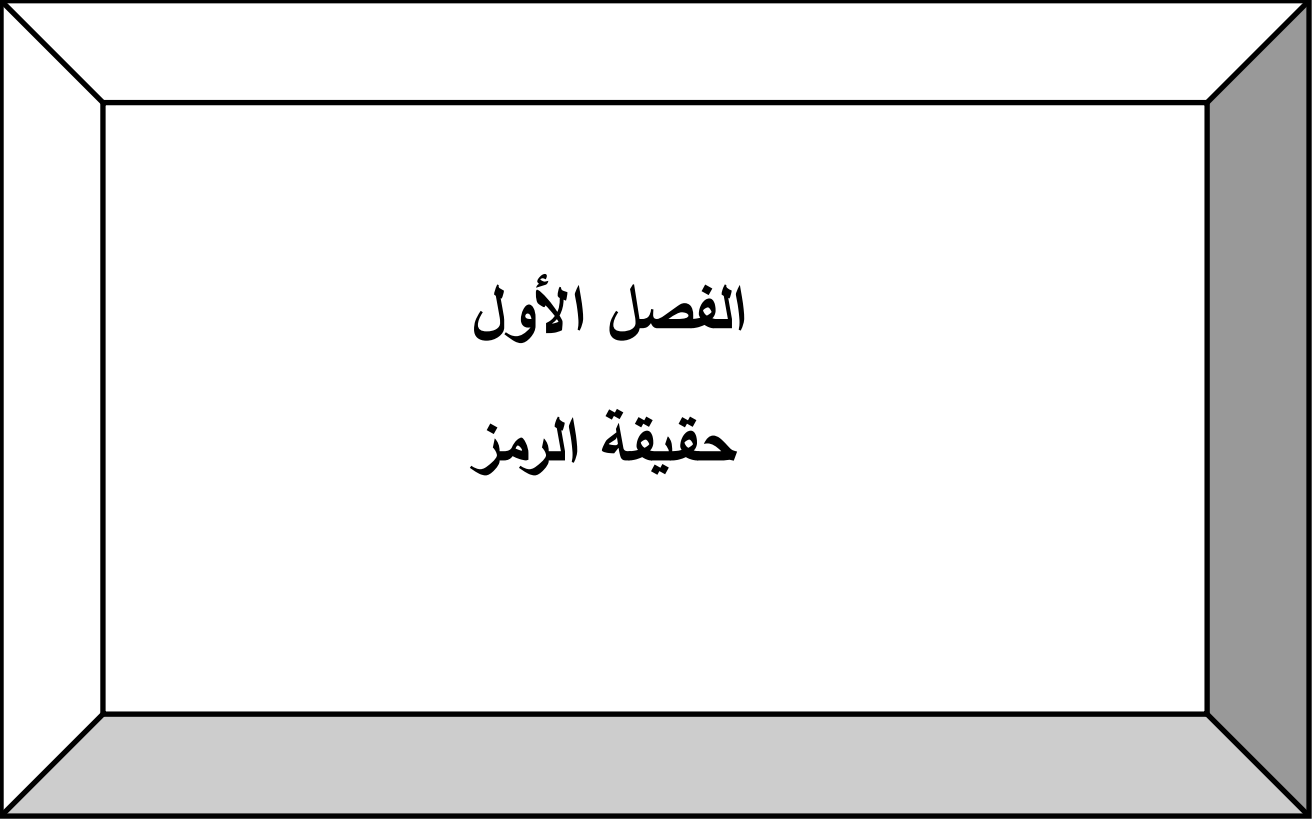
إن أبا ماضي يسير في شعره نحو أهدافه التي تتبع من صميم المجتمع وتشهد قوتها من صدق صاحبها وإخلاصه، ومن اتصال وشغف شديدين بالطبيعة بحيث يأخذ مواضيعه وأمثله وإلهامه من نباتها وجمادها، من أشواكها وورودها، من مائها وسمائها، ومن حيوانها وطيرها.¹ كما يعتبر أبو ماضي من أبرز شعراء الرابطة القلمية وأطولهم نفساً وأكثرهم استعمالاً للقافية الواحدة دون تغيير، وأكبر دليل على ذلك قصيدة الطلاس حيث تتكون من 184 بيتاً، وقصيدته الأسطورة الأزلية تتكون من 142 بيتاً، تسير في خط واحد من المتانة الشعرية والمعنى الواحد.²

وللشاعر إيليا أبي ماضي نظرة خاصة إلى الحياة حيث إنه ينظر إليها نظرة تأملية إنسانية وفلسفية تغاؤلية حيث إنه تأثر بحياة الغربية فكان شعره يعج بالقضايا الإنسانية.

1

¹ - ينظر، حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، 1986، ص 595/596

² - ينظر بوقرة مريم، جمالية توظيف الرمز عند إيليا أبي ماضي، مذكرة ماستر أدب عربي حديث، 2016، ص 6/5



الفصل الأول
حقيقة الرمز

المبحث الأول: مفهوم الرمز لغة

يعد الرمز ملجأ كل شاعر يميل إلى التخفي وعدم التصريح ببعض الأمور التي لا يريد أن تصل بشكل مباشر، بل عن طريق البحث والتعمق فيما يحمله الرمز من رسائل ودلالات وإشارات.

ومن هذا المنطلق وجب علينا تعريف الرمز لغة.

هو "تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفيتين، وقيل: الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفيتين والفم. والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء، أشرت إليه بيد أو بعين، ورمز يرمز ويرمز رمزا. وفي التنزيل العزيز في قصة زكريا، عليه السلام: ((ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا))¹ ورمزته المرأة بعينها ترمزه رمزا: غمزته، ورجل رميز الرأي ورزين الرأي أي جيد الرأي، والراموز: البحر. وارتمز الرجل وترمز: تحرك. وكثيرة التحرك، ويقال فأن رميز أي كبير في فئة وهو مرتمز ورمز غنمه وإبله: لم يرض رعية راعيها فحولها إلى راع آخر، الترميز من رمزت الشاة إذا هزلت، وارتمز البعير: تحركت أرآد لحيه عند الاجترار، والترامز من الإبل: الذي إذا مضغ رأيت دماغه يرتفع ويسفل، وقيل: هو القوي الشديد، والرامزتان: شحمتان في عين الركبة، ورمز الشيء يرمز ورامأز: أنقبض، ورامأز: لزم مكانه".²

¹ - ال عمران، الآية، 41.

² - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، المجلد الخامس، دار صادر - بيروت، ص 356

اصطلاحا:

وبعد تعريف الرمز لغة وتعددمعانيه واختلافها نمر إلى تعريفه من الناحية الاصطلاحية فنجد عرف بأنه المعنى الباطن.

ونجد أن الرمز ذكر في القرآن الكريم في قصة زكريا عليه السلام بعد قول الله تعالى " قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا ".

هو المعنى الباطن الذي تحت المعنى الظاهر الذي لا يمسه إلا أهله، كمثّل شرح الشطحيات، ولكنه اكتسب في العصر الحديث دلالات مختلفة لميزته المشتركة في تدليل مفاهيمالمغاليقواتخاذ الرموز من مظاهر مألوفة في الطبيعة إلى التوغل في ذات الأشياء، واستمرار دلالاتها الرمزية وذلك صلة بين هذه الأشياء وبين الرغبات الجوهرية النفس فيتم لجوء الشاعر إلى الصورة الرمزية بتوجيه من تجربته الشعورية التي لا يمكن التعبير عنها بالصورة الرمزية ذات الإيحاء الجمع والشمولية، فالرمز يعتمد على الإيحاء والإثارة ويقوم على علاقات خاصة ليست حسية مباشرة.

الرمز أحد وجوه الصورة الشعرية التي تحت عن الانفعال المباشر، والقوة في استخدامها لا تعتمد على الرمز بقدرما تعتمد على السياق الذي يرد فيه الرمز ويكون فيه مخالفة الايحائية والخيال هو الأداة المولى للأبداع في الصورة الرمزية فالنجاح في استخدامها يتعلق أساسا على الأنحاء ومقارنة الحقيقة دون منافستها فالعمل الرمزي لا يكمن فقط في مجرد شحن الإشارات الرمزية وعقد المقاربات إنما الإبداع يتمثل في توظيف دلالات الرمز للتعبير عن القيم والمشاعر الإنسانية الأصيلة بحيث تمتزج مفهومها معروية المبدع الشاملة وتكون لها القدرة على استشارة القارئ والمتلقي¹.

¹ - ينظر: سردار أصلاني، ونصر الله شامليو عسكر علي كرمي، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد: 21، 2011، ص: 4.

ويقول (يونج) بأن الرمزي فترض دائماً أنه التعبير الذي تختاره بيدوأفضل وصف أو صياغة ممكنة لحقيقة غير معروفة على نحو نسبي حقيقة تتركها وتسلم بوجودها. والتصور الرمزي يفسر بوصفه أفضل صياغة ممكنة لشيء مجهول نسبياً فهولاً يمكن أن يكون أكثر وضوحاً وأن يقدم على نحو مميز ويعني هذا الذي ذكره (يونج) أن الرمز لا يناظر أو يلخص نسبياً معلوماً، إنما يحيل على شيء مجهول نسبياً فليس هو مشابهة وتلخيصاً لما يرمز إليه إنما هو أفضل صياغة ممكنة لهذا المجهول النسبي وفي ضوء هذا التحديد يمكن القول بأن الرمز هو إذا ما وجدت طريقة أخرى تفضله في الصياغة والتعبير¹، وبعد التطرق إلى تعريف الرمز من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية نجد بأنه عبارة عن عملية احتواء التجارب ووسيلة يتمكن الشاعر من خلالها التخفي خلف المعاني الجديدة.

المبحث الثاني: أنواع الرمز

1- الرمز الديني:

يعيش الإنسان وسط بيئة مليئة بمتغيرات الكون الإلهي فلجأ الأدباء إلى استخدام الرمز الديني بغية إثراء وتأكيدهم أقوالهم فقد أوضح ارتست فنيلوازا أن الأبجدية المصورة في الشعر تشكل جزءاً من المعنى الشامل للقائد بل إنه في التقليد الغربي هناك القوائد المرسومة في المختارات الإغريقية مثل: المنبر وأرضية الكنيسة². للشاعر جورجهربرت والقوائد المماثلة للشعراء الميتافيزيقيين التي يمكن أن تقارن في شعر القارة الأوروبية بما أنتجته مدرسة الجونجورية في إسبانيا ومدرسة المارينية في إيطاليا وشعر الباروك الألماني وغيرهم، عمد

¹ - عاطف جودة نصر: الرمز الشعري عند الصوفية، الطبعة الأولى دار الاندلس، الكندي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1978، ص 20

² - رنيه وليكا واونستيوارن، نظرية الادب، تعريب عادل سلامة، دار المريخ، المملكة السعودية، ص 195

الشعراء إلى اتخاذ وسائل تصويرية لتنسيق السطور بشكل غير مألوف أو البدء في أسفل الصفحة وتنويع الألوان في الصياغة¹، وبذلك لاقى الرمز الديني حظاً وفيراً في استخدامه من قبل الشعراء لكونه أداة فاعلة في تحريك الشعور الإنساني بالكون وشؤونه.

2- الرمز الطبيعي:

يعيش الإنسان وسط كون مليء بالأشياء الطبيعية ويستوجب ذلك وجود عملية تأثير وتأثر بين الفرد وطبيعته، فاستعمل الإنسان القديم الطبيعة بوصفها زاخرة بالحياة والحدة الباعثة على دهشة طفولية ومن ثم لم تكن الطبيعة في تصويره شيئاً هامداً ساكناً وإنما بدت له على نحو ذاتي متشخص مفعم بالوجدان، فمثلما أدرك نفسه أدرك الطبيعة حيث عاملها بفرح وتأس وتغضب وترضي ومن ثم كشفت الطبيعة عن نفسها في الأساطير القديمة بوصفها صخوراً مشحوناً، وتجسيدا مجابها، أتاحت للإنسان يتصل بها وأن يقيم معها علاقة دينامية نشطة وتؤول هذه العلاقة في ديناميتها إلى الفهم الأسطوري لم يدرك الطبيعة على أنها فوضى وإنما أدركها منظوية على تركيب وتنظيم داخليين² يسمحان بنفوذ الأشياء بعضها في بعض وبقابليتها للتغيير، العفوي ومما يميز الطبيعة في جوهرها الأسطوري أنها ذات كيان سحري يؤول إلى ما وصفه سارتر (بتدهور الشعور في الانفعال حيث يتحول العالم المحتوم إلى عالم سحري، وهكذا بدت الطبيعة في الرموز من خلال هذه الرابطة بين الانفعالي والسحري على نحو درامي مفعم بالعواطف والانفعالات وهذا يعني أنها ليست تصوراً كلياً ذا طبيعة تجريدية وليست موضوعاً للتأمل وانعكاس الأنا على ذاته ولكنها شيء ما زاخر بالحياة والقداسة والجلال مفعم بالمعنى والعظمة والقوة³.

1 - المرجع نفسه، ص 196

2 - عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، 1978، ص 258

3 - المرجع نفسه، ص 259

وهذا ما يعكس انسجام الإنسان مع الكون ومشاركته إياه فكان فهم الإنسان للطبيعة ذاتيا خالصا وتصورها على نحو إنساني من حيث إنها تفعل وتتفعل وقد تستجيب لرغباته أو لا تستجيب¹، وهذا ما يدل أن فهم الإنسان لأول لعناصر الطبيعة كان يتميز بالعمق الرمزي بحيث كان يتلقى ظواهر الطبيعة باعتبارها علامات ورموز تحمل رسائل وكان عليه أن يفهمها باي نوع من الأنواع ...

3- الرمز الأسطوري:

يلجأ الشعراء دائما إلى استخدام الرمز الأسطوري المختلف بهدف تزيين نصهم وإعطائه عمقا فريدا، فخلق كل لغة شعرية حتى ولو كان الشعر تعبيرا جاريا عن تجربة ذاتية في صورة غنائية ترقد طبقة من الإشارات والرموز الأسطورية ومعانيها التصويرية وارتباطها بالشعائر والطقوس وقدر ما تنبض من إحساس أولى بمظاهر الوجود أي الوقوف على معانيها التصويرية والتجسيدية معا²، وكما توجد خاصة تجسيد ظواهر الطبيعة وإضافة الحيلة الإنسانية عليها وهي خواص تتصل بلغة الأساطير ورسائلها التعبيرية توجد خواص أخرى في شعرنا المعاصر منها (الجو الأسطوري) بمباينته للواقع وغرابته غرابه خاصة تذكرها بأجواء الأساطير وأجواء الأحلام ومنها (الشخصية) بما فيها من عناصر خارقة للعادة وقدرتها على تسخير الأشياء وإخضاع قوى العناصر كما تشاء لها الأهواء³ ، وقد يعمد الشاعر إلى اصطناع جو أسطوري وإلى أن يؤله أشخاصا أو معاني⁴، فالأسطورة صورة عريضة ضابطة تضي على الوقائع العادية في الحياة معنى فلسفيا، أي أنها تتضمن قيمة

1 - المرجع نفسه، ص 260

2 - انس داود، الاسطورة في الشعر العربي الحديث، دار الجيل للطباعة، ص 215

3 - المرجع السابق، ص 217

4 - المرجع السابق، ص 221

تنظيمية بالنسبة للتجربة وبدون تلك الصور التي تقدمها الأسطورة تظل التجربة سديمة ممزقة، أي مجرد تجربة ظاهرية وسدمية التجربة هي التي تدفع إلى خلق هذه الصورة بقصد إذ تعمل هذه الصورة بدورها على تنقية التجربة ذاتها وتوضيحها حتتعدما تتأثر الأساطير كما هو الحال في الحضارة الحديثة وتتفصل وتميل لأن تصبح تجريدية أي نجد أن الصور ذاتها تتقهقر ويبهت لونها حتى في هذه الحالة لا تزال الأساطير هي النسيج الأساسي تعيش الأسطورة في عنصر العقل بوصفها النسيج الأساسي الحي لكل فكرة أو نظرية أو مذهب¹، ثم إن وظيفة الأسطورة ليست تفسير الرؤيا الشعرية تفسيراً مجازياً بسيطاً حتى تكون مجرد تشبيه حُذف أحد الطرفين بل إن وظيفتها بنائية إذا صح التعبير فهي من جهة تعمل على توحيد العصور والأماكن والثقافات المختلفة ومزجها بعصرنا وأجوائه وثقافته، ثم هي من جهة أخرى تؤدي وظيفتها العضوية في القصيدة باعتبارها صورة شعرية فإذا قارناها حصلنا على خبرتين مزدوجتين في أن واحد وتلك غاية لا تتحقق إلا إذا استشف الشاعر روح الأسطورة ولم يقف عند دلالتها الجزئية وفي هذه الحالة قد يكتفي بالتلميح إليها أو تلخيصها كما قد يفيد صياغتها من جديد²، ولهذا فقد وجد الشاعر المعاصر ملجأه في توظيف الرمز الأسطوري لأنه بما يحتويه من زخم دلالي مكثف ويزخر به من عمق بساطة الحياة الإنسانية الأولى، حتى أضى أحسن معبر عن الرؤية الشعرية الذاتية التي يريد توصيلها إلى القارئ.

4- الرمز التاريخي:

من المعروف أن الفرد مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأحداث معينة وتواريخ ووقائع مرّ بها عبر الزمن حيث لا يمكنه الانسلاخ عنها فتبقى في حياته على شكل علائق دائمة ترتبط به، لذلك

¹ - عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضايا وظواهر ه الفنية المعنوية، الطبعة الثالثة دار الفكر العربي، ص

² - محمد فتوح احمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص 297

نجد أن من بين أنواع الرمز نجد الرمز التاريخي أو بمعنى آخر الموروث التاريخي حيث إن الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواعي لأن لها إيجاب ذلك دلالتها الشمولية الباقية والقابلة للتجدد على امتداد التاريخ في صيغ وأشكال أخرى، فدلالة البطولة في قائد معين أو دلالة النصر في كسب معركة معينة تظل بعد انتهاء الوجود الواقعي لذلك القائد أو تلك المعركة، باقية صالحة لأن تتكرر من خلال مواقف جديدة وأحداث جديدة، وفي نفس الوقت قابلة لتحمل تأويلات وتفسيرات جديدة وهذه الدلالة الكلية للشخصية التاريخية بما تشتمل عليه من قابلية للتأويلات المختلفة هي التي يستغلها الشاعر المعاصر في التعبير عن بعض جوانب تجربته ليكسب هذه التجربة نوعاً من الكلية والشمول وليضفي على ذلك البعد التاريخي الحضاري الذي يمنحها لونا وتميزاً من خلال التفرّد والتمركز في الوعي الجماعي عبر تراكمات الزمن.

وبالطبع فإن الشاعر يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي ومن ثم فقد انعكست طبيعة المرحلة التاريخية والحضارية التي عاشتها أمتنا في الحقبة الأخيرة وإحباط الكثير من أحلامها وخيبة أملها في الكثير مما كانت تأمل فيه الخير، وسيطرة بعض القوى الجائرة على بعض مقدراتها والهزائم المتكررة التي كانت تحدفق بها رغم عدالة قضيتها، وانعكس ذلك على نوعية شخصيات التاريخ التي استمدها شاعرنا المعاصر¹، حتى أضحى التاريخ موضوعاً ماثلاً في الرمز الشعري العربي من خلال أعلامه من الشخصيات أو عن طريق بعض الأحداث الكبرى المحفورة في الذاكرة الجماعية المؤثرة في الذوق العربي.

والشخصيات التاريخية التي استخدمها شاعرنا المعاصر أصناف مختلفة:

¹ - علي عسير زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص 120.

أولاً: ابطال الثورات والدعوات النبيلة، الذين لم يقدر لثوراتهم أودعواتهم أن تصل إلى غايتها فكان مصيرها ومصيرهم الهزيمة على من أنها كانت أكثر مثالية لكنها لاقت واقعا كله فساد وخنوع وبيع ذمة.

ثانياً: شخصيات الحكام والأمراء والقادة الذين يمثلون الوجه المظلم لتاريخنا سواء بسبب استبدادهم وطغيانهم أو بسبب انحلالهم وفسادهم ولذلك نجدهم في مقدمة الصور الشخصية التي استعملها هؤلاء كأدوات للقضاء على الدعوات والقيم النبيلة في عصرهم.

ثالثاً: الخلفاء والأمراء والقادة الذين يمثلون الوجه المضيء لتاريخنا سواء ما حققوه من انتصارات وفوز، أو بما أرسوه من دعائم للعدل والديمقراطية¹، ومن خلال ذلك يظهر لنا أن التاريخ يبقى منبعاً للموعظة الدالة والمثل السائر المرتبط بالإنسان، فيظهر في شكل رموز موظفة في القصائد.

المبحث الثالث: خصائص الرمز

1- الغموض:

من المعروف عن الغموض بأنه يدل على معاني الإبهام والإخفاء للحقيقة، فهو عبارة عن علامة من علامات الإبداع للشاعر الحديث والمعاصر حيث إن الشعر الرمزي يكتنفه بالضرورة شيء من الغموض في تكوينه، وكان الشاعر الغربي يستبعد كلمتي (مثل وكأن)، ونجده يطرح صورة خيالية ثم يعيدها بفقرة قد تشرح هذه الصورة أويبتعد عن الشروح ويترك الرمز غير مشروح، فالرمزية يظل تعريفها بأنها فن التعبير عن الأفكار والعواطف ليس بوصفها مباشرة ولا بشرحها²، بل بالتلميح إلى ما يمكن أن تكون عليه صورة الواقع المناسب لهذه الأفكار والعواطف وذلك بإعادة خلقها في ذهن القارئ من خلال استخدام رموز غير

¹ - ينظر المرجع السابق، ص 212

² - ينظر: شارلز شادريك، الرمزية، ترجمة نسيم إبراهيم يوسف، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، ص 41

مشروحة¹، حيث إن شاعر الرمزية الإنسانية يستخدم الحقيقة والواقع كنقطة انطلاق ومن هنا كان انتقال الشاعر من الحقيقي إلى المثالي، مما يجعل الصورة في الشعر الرمزي² في هذا النوع منسوجة بالغموض أو الخلط حيث تحدث تعمية حيث تتركز عين القارئ فيها وراء الحقيقة على الفكرة الأساسية والتي تعتبر الرموز المختلفة بالنسبة إليها تمثيلاً جزئياً وغير دقيق³، لذلك كان الغموض شيئاً نابعا من فكر الشاعر فيتجسد فيما كتبه بهدف إثارة القارئ وشد انتباهه وفكره بما وراء النص الشعري.

2- الوحدة العضوية للبناء الفني:

تعرف الوحدة العضوية بأنها القصيدة ذات موضوع واحد متكامل متماسك، أفكاره مترابطة ومرتبطة بالأعمال الرمزية التي تتميز بالوحدة وهي عكس الوحدة الموضوعية⁴، أي يجب أن تنمو القصيدة من داخلها وتكون نسيجاً حياً متنامياً نمواً عضوياً طبيعياً تؤدي فيه كل خلية إلى التي تليها لأن يكتمل البناء الفني فيصبح من المستحيل اقتطاع جزء أو مقطع عن عضوية القصيدة لأن ذلك يفصل العناصر الجمالية والمعنوية ويبعث الهيكل العام للقصيدة المتكاملة بوحدتها، وبهذا فإن بناء القصيدة يشكل دعامة أساسية في العمل البناء الفني الشعري.

3- حدس القارئ يفسر النغم الشعري:

إن القارئ هو مفسر بارع لما وراء القالب الشعري بحسب ما يميله عليه ذهنه وحدسه حيث إن الشعر عند الرمزيين انفعال بالقلوب والعقول يغير نظام الكلام أي أن القصيدة الشعرية ليست معطاة في الكلمات المباشرة وإنما تتوقف على المسافة بينها وبين الكلمات

1 - المرجع نفسه، ص 42

2 - المرجع نفسه، ص 43

3 - المرجع السابق، ص 44

4 - ينظر: نسيب تساوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر: الإبداعية - الرومنسية - الواقعية - الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص 469

التي يتصورها القارئ ذهنيا فيما وراءها فيتجاوز باستمرار النص المكتوب ومن هنا تركوا للقارئ مجالا رحبا بتفعيل الحدس في تفسيره لبناء الفهم الرمزي، ومن هذا التجاوز يمتلك النص الشعري القدرة على البث المتجدد عبر التعاقب الزمني بحيث يخاطب أجيالا متعددة وظروفا مختلفة، وكل جيل يقرأ هذا العمل يمثل محورا من محاوره وبعدا من أبعاده طبقا لتوغله ومطامحه¹، لذلك يعد حدس القارئ ونظرته الثاقبة للكلمات المباشرة والمرور إلى غير المباشر المستتره أمرا مهما في فهم ما يرمي إليه الشاعر.

4- الرمز أداة للتعبير:

إن التعبير هو أداة لتواصل الفرد مع الآخر، والرمز هو ما يجعل ذلك التعبير يحمل سمة جديدة معبرة على ما يجول في الفكر.

وفي هذه الخاصية نجد أن الشعراء اتخذوا من الرمز أداة للتعبير، ذلك أن اللغة العادية عاجزة عن احتواء التجربة الشعورية وإخراج ترسبات الماضي للمشعور وتوليد الأفكار الكثيرة في ذهن هذا القارئ، فبالرمز تستطيع اللغة نقل هذه التجربة واجتياز عالم الوعي إلى عالم اللاوعي فتلد وتوحي في معانيتها على ذهن القارئ، فتارة يستخدمون الأسطورة رمزا يغنون بها أدبهم ويفجرون منها مادة التلميح والإيحاء وقد يعتمدون على المعطيات الدينية المؤثرة وما ورد في قصص الأنبياء وقد يكون من التراث الأدبي والتاريخي وقد تؤخذ الرموز من الطبيعة والشخصيات ومن أبرز ذلك:

الرموز الأسطورية: فقد يستعمل الشاعر الأسطورة يعبئ فيها طاقات رمزية لا تحصى كأسطورة (السندباد وشهرزاد والغول والعنقاء وتموز وفاوست....)².

رموز من الشخصيات: وقد يتكئ الرمز على الأعلام التي كان لها مدى عميق في التاريخ أو الأدب (صقر قريش وعائشة ومهيار)¹.

¹ - ينظر المرجع السابق، ص 470

² - ينظر المرجع نفسه، ص 471

رموز من الكون أو الطبيعة: هنا ينتزعون من الكون والطبيعة بعض مافيهما من مظاهرها ك (العاصفة والرعْد والجليد والرياح والرمل ...). فمثل هذه الرموز فيصيغتها غنية ومثيرة وهي تأتي مرتبطة كل الارتباط بالتجربة الشعورية التي يعينها الشاعر، وبالقول المجمل فإن الرمز أداة للتعبير المتجدد والمتحرك في جميع الاتجاهات والعصور والعقول وعلى كل المستويات.

5- العمق والتعقيد المعنوي:

التعقيد المعنوي هو الألفاظ المختلفة دلالتها على المعنى المراد تبليغه نتيجة استخدام الشاعر للعمق في أشعاره، في هذه الميزة نجد أن الشعراء يهدفون دوماً إلى العمق بغية إنتاج شعر عظيم وهذا ما سبب الغموض والإبهام في كثير مما كتبوا ولكن هذا الغموض تفسره الموسيقى الشعرية المتناغمة في ثنايا الألفاظ والتراكيب إذ توحى بأفاق المعاني وأبعادها بوصف الشعرفنا ذا دلالات متنوعة تكسيه تفسيرات متعددة، وعليه فإن هذا العمق المبالغ فيه يؤدي إلى الغموض والتعقيد والتشابك واللبس، فيضع القارئ في متاهة الاختلاط وعدم الفهم.

6- هندسة الصور وغزارتها:

يلجأ الشعراء إلى استخدام الصور بهدف إكساب شعرهم رونقا وجمالا وكذلك زيادة التأثير في المتلقي فكثرة الصورة الشعرية بفرعها الحسي والمعنوي أكثر ما تكون في الشعر الرمزي ولكنها تأتي مبهمة غامضة في أكثر الأحيان²، وهندسة الصور عندهم عملية أساسية في العمل الفني، إنها في رأيهم تكسب الشعر الإيحائية بعيدة الصدى في النفوس، وفنية القصيدة لا تتولد من جمالية الأجزاء بل من مجوع القصيدة³، وهنا يتوجه الشاعر إلى

¹ - ينظر المرجع نفسه، ص 472

² - المرجع نفسه، ص 472

³ - محمد على السيد، احمد داود، اتجاهات الفنية في شعر ايليا ابو ماضي في مادة الادب والنقد ص 87

الغوص في بحر الصور بمختلف أنواعها ومستوياتها لأجل أن يلبس القصيدة ثوب الغموض بما فيه من الجدة والغرابة والاختلاف.

المبحث الرابع: أسباب بروز الرمز في الأدب العربي:

لظهور الرمز في الأدب العربي المعاصر أسباب كثيرة نذكر منها ما يلي:

-الكبت السياسي والاجتماعي تحتيران الاستعمار الخبيث الغاشم وما صبه على الشعوب من ظلم وتعسف وعنف وقهر وتهديد.

-اتساع الثقافة الفرنسية فيلبنان بوجه خاص أيام الاحتلال الفرنسي وكثرة الترجمة من الفرنسية إلى العربية، وكان مما ترجم من الفرنسية بعض إنتاج أدباء الرمزية ومبادئهم في الأدب والنقد فقط على تراجم سيرهم وأخبارهم، فوجد هذا اللون هوى في النفوس بعد أن هب الراغبون فيه نفسياً لرغبة التجديد وتقليد المذهب، وأثر شعراء لبنان المهاجرون في شعرنا العربي الحديث وظهر التأثير واضحاً في جماعة "أبولو" وشعرائها البارزين.

-الثورة على القديم البالي وما فيه من نزعات تقريرية خطابية نثرية لا تتماشى والعاطفة¹ الشعرية، وقد ظهرت الدعوة إلى ذلك عند الشاعر اللبناني " سعيد عقل" الذي يعد زعيم المذهب الرمزي.

-الدعوة التي صاح بها الأدباء داعين إلى التجديد في حدود المذهب الرمزي إلى جانب الدعوة العامة التي تدعو إلى التجديد بوجه عام².

-الانتعاش للتيارات الأدبية والفكرية الغربية ومناهج البحث والأدب والنقد والاطلاع على النظريات الحديثة، وكل ذلك له أثره في الأدب المعاصر في الشكل والمضمون والمبادئ

¹ - ينظر المرجع السابق، ص 473

² ينظر المرجع نفسه، ص 87

والقيم¹، وكان من الأدبيات التي ظهرت في المضمار في مصر ولبنان غير قليل، ومن ذلك (ندامة بعد الموت) قصيدة مترجمة (بودلير)².
ومن كل هذا يظهر لنا أن تجلي الرمز في الأدب المعاصر كان له عدة أسباب أدت إلى ظهوره وانتشاره في الساحة الأدبية، منها أسباب سياسية وأسباب اجتماعية وأخرى دينية وتاريخية وغيرها.

1 - المرجع نفسه، ص 88

2 - المرجع نفسه، ص 89

الفصل الثاني

الطبيعة الحية

المبحث الأول: تعريف الطبيعة

يدل مفهوم الطبيعة على كل ما هو موجود فيها من المناظر الطبيعية المختلفة والجبال والأنهار والغابات والازهار والحيوانات والنباتات والكائنات الحية، كذلك المواد غير الحية (الجامدة) كالصخور والبنائيات، ومن أطرف ما وصلنا من الثقافات القديمة اهتمام بعضهم بما يسمى بالأسطقسات أو الطبائع الأربعة¹ التي ترجع إليها أصول الموجودات وهي: النار والهواء والماء والتراب.

المبحث الثاني: الطبيعة الحية والصامته

1 - الطبيعة الحية: هي كل شيء يحتوي على الروح ويتصف بالحياة، وتشمل الإنسان والحيوان والنباتات.

2- الطبيعة الميتة:

ويمكن أ، تتطابق مع الطبيعة الجامدة التي تشمل الكائنات الثابتة كالصخور والأرض والمباني، وهي أيضا أي شئ يوجد فيه مثل الأواني والكراسي والبنائيات والألواح وغيرها، حيث نجد أن الطبيعة فسحت إلى اثنتين طبيعة ميتة جامدة وطبيعة حية متحركة.

لذا سنذكر ما تجسد في الطبيعة الصامته،ومن بين ذلك:

¹ينظر عبد الغني النابلسي: شرح ديوان ابن الفارض، دار العلم للجميع، بيروت، (د ت)، ج 2، ص: 177.

الكثبان: الكثبان الرملية المنتشرة في مساحات واسعة من جزيرة العرب مشكلة جبالا وألسنة رملية متناسقة في أشكال عرفها الشعراء فارتسمت صورها في أذهانهم وحددوا أبعادها هندسياً، فكان ما استطال منها حبلا وما اعوج حقفا وما استدار دِعصا وما كان بين التقطيع والاتصال منها فهو سِقَط، وما أحدوب كثيب ونقا، وصفات هذه الأشكال واضحة يستمد منها الشاعر صورته، ويعقد بينها وبين ما يريد الحديث عنه¹.

فقد ذكر طرفة بن العبد بعض أشكال كثبان الرمل فقال:²

مؤللتان تعرف العتق فيهما كسامعتي شاة بحومل مفرد

فقد ورد في شرحه ذلك: أن المؤللتين مفردها المؤللة، وهي قطعة الرملة الحادة، وحومل مكان معروف تغنى به امرؤ القيس أيضا في مطلع معلقته.

السراب:

وصف الشعراء كل ما شاهدوه في صحرائهم المترامية الأطراف وصوروه بما كانواونه في نفوسهم من الصور وعقدوا بنيه وبين ما كانوا يبتغون وصفه من صور المشابهة ما تهيأ لهم، وأكثر ما كانوا يتحدثون عن مظاهر الصحراء في حديثهم عن المجالات التي يذكرون فيها بطولاتهم وانتصاراتهم ومفاخرهم.

¹ - ينظر، نوري حمودي العيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الرشاد، 1390، 1970، ص 26-27

² - طرفة بن العبد، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 202، ص، 23.

ولابد أن يتطرقوا في حديثهم عن الصحراء إلى الحديث عن السراب وكانوا يتناولون في حديثهم عنه ارتفاعه الذي يكون به عن ارتفاع النهار وشدة الحر ثم يتطرقون إلى وصف رواحلم ويصفون عليها كل صفات القوة، وهي ترتفع وتنخفض وسط هذا السراب كما تتراءى لهم وحتى في حديثهم عن الجبال الشامخة وسط هذا الفضاء الرحب والكثبان الرملية المنتشرة بينما كانوا يختارون لأوصافها أوقات النهار حيث يمتد هذا السراب فإذا كل هذه المظاهر تتحرك في الصورة وتتراقص اجزائها فكأنها مجاميع من شجر الدوم والنخل¹، قال امرؤ القيس²:

فشَبَّهْتُهُمْ فِي الْأَلِّ لَمَّا تَكَمَّشُوا حدائق دوم أو سفيناً مقيرا

أو المُكْرَعَاتِ مِنْ نَخِيلِ ابْنِ يَامِنٍ دوين الصفا اللائي يلين المشقرا

سوامق جبار أثيث فروع وعالين فنواناً من البسر أحمر

فقد شبه الراحلين وهم في هودجهم على ظهور إبلهم يقطعون الأراضي المنبسطة التي يصدر منها السراب، شبههم بالسفن التي تجري وتتهادى في البحر.

البرق:

أما البرق فهي ما غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل وطين فتختلط ونبت أظهرها البقل والشجر وتكون إلى جنبها الرياض أحيانا، والغالب على حجارتها البياض وفيها حجارة حمر وسود تبرز بلون حجارتها وترابها وربما تكون العوامل التي دعتهم إلى ذكرها هي نفس العوامل

¹ - المرجع السابق ، ص 28-29

² - امرؤ القيس الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط 4، ص: 57.

التي دفعت الشعراء إلى ذكر الدارات ولكن الذي يتميز في البرق أنها كانت في أغلب الأحيان تُتخذ أماكن للاستقرار وإقامة القبائل، وأشهر هذه البرق برقة **ثهد** التي فتح بها طرفة معلته فقال:

لخولة أطلال ببرقة **ثهد** تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد¹

إن الطبيعة هي التي تشغل روح الشاعر وتدفعه إلى الإلهام والوصف والكتابة والتعبير، وهي الساحر الأول الذي يجذب الإنسان في حياته من خلال جمالها ومظاهرها ومميزاتها وكنونتها.

الطبيعة الحية:

الطبيعة الحية هي كل ما هو قادر على البقاء والتطور والتغذية والنمو والتكاثر كالإنسان والنباتات والحيوانات.

وتعد الطبيعة الحية هي العنصر الثاني للبيئة ونقصد بها ما تحتويه من أصناف الحيوانات ماعدا الإنسان وتشمل كل الحيوانات على اختلاف أنواعها، مما يجذب الشعراء هذه الحيوانات من جمالها وألوانها وسرعتها، لذا وقفوا حيالها واصفين معبرين.

¹ - طرفة بن العبد، الديوان، ص: 19.

الحيوان:

كان موقف الإنسان من الحيوان منذ أقدم العصور غريباً فهو يستأنسها مرة ويفتك بها للتغذي مرة أخرى، ويستعملها وسيبة لنقله تارة أخرى، ويقدم بعضها أحياناً، وكانت آثار تلك الغرابة تلوح جلية في آدابه وحكاياته وأساطيره.

وتاريخ البشرية لا يخلو من النفوس الكريمة التي عاشت متعلقة بالحيوانات التي تتعلق وآداب الأمم على اختلافها حافلة بغرر النظم والنثر لصور الحيوانات التي أعانت الإنسان على تذليل كثير من مصاعب الحياة، ومنحته القدرات الفائقة على وصفها بالنعوت التي خلقتها في آثاره وبقاياها. والعرب كغيرهم من الأقسام الذين تعلقوا بحب هذه الحيوانات تقربوها وأعزوها ومنحوها رعايتهم وعطفهم.

ويتميز الأدب العربي في سائر الآداب العالمية الأخرى، بأنه غني بوصف الإبل والخيول عناية عجيبة، وإنما نستطيع أن نقول إنه ليس في آداب العالم أدب وصف هذين الحيوانين واهتم بدقائقهما وخصائصهما بمثل ما وصفهما الأدب العربي، وطبيعي أن تكون تلك العناية منبعثة من منافع هذه الحيوانات للإنسان العربي في صحرائه، فهو يعد بعضها للحرب والغزو والصيد، ويستعين ببعضها لتفريج هممه وتخفيف أحزانه، ويستخدم البعض الآخر في التنقل والترحال والغذاء وكانت الإبل والخيول أولى تلك الحيوانات التي استرعت اهتمامه لأنها أوثق لحياته

وأشدها صلة بمستقبله¹، هي كل ما يجري فيه ماء الحياة وينبض بالحركة من حيوانات كالناقة والفرس والكلب أو النباتات كالنخيل والأشجار والرمال.

الإبل:

الإبل من عناصر الطبيعة وكائناتها الحية التي تحمل دلالات الحِلِّ والحركة وتحملها للمشقة وهي الحيوان المساعد للإنسان في قديم الزمن، وقد اهتم الشعراء بوصف الإبل واستأثرت بحبهم، لأنها الحيوان المناسب للحياة في الصحراء لتحملها وعورتها ومقاومتها لظروفها حتى كانت كل قصيدة لا تحلو من ذكرها في الشعر، وتعتبر وسيلة للنقل تتحمل ما يفرضه السفر عليها من الجهد والمشقة لتبلغ بهم أماكن لم يكونوا بالغيا إلا بها، قال تعالى: "وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الانفس"²، فكانوا بها يسلون همومهم فتذهب عن نفوسهم بواعث الألم والضيق، وبسرعتها ومشيتها تثار نوازعهم للوصف وهي جسر يتنقلون بواسطته من حديث النسيب الحزين الذي يستند فيه الألم حتى يؤثر في النفس وبها يقطع الصحراء المخيفة فيذعر الأطباء وهي مع كل ذلك لا تمل ولا تشكو ولا تضجر تحملهم إلى مصدر حيمهم وتنقلهم إلى ديار أحبهم³، حيث نجد الشعراء تكلموا كثيرا عن الإبل ومدحوها لأنها كانت الوسيلة الوحيدة للنقل في ذلك الوقت وتحمل معهم أمتعتهم الثقيلة وتتحمل التعب والمشقة فهي كانت منذ الأزل الصديقة للإنسان في سفره.

¹ - ينظر نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 95-96

² - سورة النحل الآية 7

³ - ينظر نور حمودي العيسى، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 97-98

الطيور:

إن كثرة الطيور وأنواعها وأشكالها في الطبيعة يزيد بها بهجة ورونقا وهذا ما يغري الشاعر للحديث عنها لأنها تشرد في نفسه هواجس التشاؤم والخوف والقلق، وتعطيه الراحة والطمأنينة والحنين والأنسالى البيئية، وهي من جماليات خلق الله في كونه، فالطيور من الحيوانات اللطيفة والأليفة للإنسان، والصور التي رسمها شعراء العرب للطيور تمثل في كثير من جوانب الأدب العربي منبعاً لإلهام الشعراء مشاعر القوة والسيطرة، ويثير بعضها الآخر فيهم الحنين والعطف والتشارك، إن هذه الصلة المتبينة التي بين الشعراء وهذه الحيوانات تدل على أكثر من مجرد مشاعر وأحاسيس وعواطف، لأنهم استخدموها في جل حياتهم ووصفوها في المواضع التي وجدوها مناسبة لها، مستفيدين من بعض مظاهرها التي عرفت بها أبرز صورهم التي أرادوا التعبير عنها، ولا بد من أنميز بين أقسامها وأنواعها لأنها كثيرة الأنواع مختلفة الطباع والعادات، لكل فصيلة طابع يميزها وأسلوب من أساليب كسب الرزق الذي تقنات عليه.

الحمائم:

يقترن ذكر الحمائم في الشعر الجاهلي في كثير الأحيان بحديث البكاء والنواح فهي تثير في بكائها أو نواحها شجونهم وتهيج فيهم لوعة البعد والفراق، وربما كانت هذا لإثارة بسبب ما أسلفناه من ذكر التعاطف الذي كان يحس به الشاعر تجاه هذا الحيوان، الذي كتبت عليه الرحلة فتحملها كما كانت على هذا الشاعر الذي ارتبط بالغيث والكلأ فكان يتعقبه في كل موقع

ويسعى إليه بكل مكان ووجدوا في وقوفهم على الأطلال سببا من أسباب البكاء ووجدوا في هذا الحيوان النائح طريقا لإثارة للواعجهم¹، والظاهرأنهقد تأسس من خلال ذلك في اعتقاد الناس في العصر الجاهلي اعتبار الحمام رمزا للتشاؤم والحزن،ومن غرائب جمع المعاني المتضادة في هذا الطائر الملائكي الوديعما ينسب للحماممن هذه المعاني السيئة التشاؤمية المستهجنةمع أنه يعتبر من الطيور التي تحمل في طياتها بابالخير والتفاؤل والسعادة والجمال والتواصل والأنس؟

الزواحف والحشرات:

تطرق الشاعر إلىأنواع من الزواحف والحشرات في قصائده ليبين حالة إنسان ما، بذكر سلوك ذلك الحيوان وماله من صفات فالحيوانات تعتمد في سلوكها على الغريزة وتثور في داخلها ألوان من الانفعالات تتناسب مع الميزات والحالات التي تواجهها أو الحاجات التي تتحرك في نفسها، فترى الشاعر ابن الساعاتي يصف بعض حساده من حوله بالأفاعي والعقارب والحيات فيقول:

وكحيّةٍ أو عقربٍ في خدها أبداً يسيئُ فعالها وتقبل

تحيي إذا ما باشرت فم عاشق وإذا تُلاحظ من بعيد تقتل²

جعل الشاعر الأفعى والعقرب رمزاً للإنسان المسيء في أفعاله وأقواله فكانتشكلهما أو ما

يحملانه من السم الزعاف باعثا على الهلع والرعب في النفوس.

¹ المرجع السابق، ص 194.

² ابن الساعاتي، الديوان،تح: أبيس المقدسي، المطبعة الأمريكية، بيروت، 1938، ط 1، ج 2، ص: 183.

الشجر والنباتات:

من الطبيعي أن ينال الشجر والنباتات والأزهار والثمار والأعشاب نصيباً وافراً من حديث الشعراء الجاهليين لاتصالهم المباشر بها في حياتهم، وعلاقتها باحتياجاتهم التي يعتمدون عليها في مواجهة الحياة، ومجابهة عوارضها فهي تدخل فيما يأكلون منه وما يبنون به بيوتهم وحظائرهم وخيامهم، ومما يصنعون منه قسيهم وسهامهم ورماحهم وقصاعهم وجفانهم وأنيتهم وصياغتهم وأقداحهم وموائدهم ومنازلهم... الخ، وهي تمثل معظم ما كانوا يستعملونه في حياتهم، وكانوا ينتفعون ببعضها في دباغتهم وصباغتهم وزينتهم ويستوقدون بحطبها، بالإضافة إلى ما كانت ترعاه منها ماشيتهم وإبلهم.

وكان لشجر التالب عناقيد، إذا أدرك وجف عُصِر للمصايح وهو أجود لها من الزيت، وهو سائل كانوا يتخذون منه أجود القطران، وقد وصل تعلقهم بالشجر واعتزازهم به جد التقديس، ومما يذكر في ذلك أن الرجل إذا خرج في سفره عمد إلى شجر الرتم فعقد بعض أغصانه ببعض فإذا رجع من سفره وأصابه على تلك الحال قال لم تخني امرأتين وأصابه قد انحل قال خانتني، قال الشاعر¹:

هل نفعك أن هجت بهم كثرة ما نوى وتعقد الرتم

¹ - ينظر نوري حموده، لنايعة، الديوان 154، مختار الشعر الجاهلي نقلا عن الطبعة في الشعر الجاهلي 41-42

النخيل:

النخيل من أقدم أنواع الشجر الذي عرفه الإنسان، واستعملت النخلة في الزخارف الرمزية التي شاع استعمالها في العراق القديم خصوصا في عصر الإمبراطورية الآشورية، وقد عرفت هذه الزخرفة باسم شجرة الحياة.

أما في جزيرة العرب فقد وجد النخيل في كثير من أماكنها، وخاصة الأماكن التي يتوفر فيها الماء، حتى وإن كانت بقليلة، لأن النخيل يقاوم العطش ويكتفي بالماء القليل، وقد أصبحت النخلة رمزا شامخا من رموز الصحراء، وكانوا يتمتعون بخيراتها مثل التمر وكانوا أيضا يستعملونها عصيرا لينتفعوا به في الشتاء، وأيضا من فوائدها استعمال رضيع النوى المدقوق علفا للنخيل والإبل.

وكانت المواطن المليئة بالنخيل والزروع وعلف الحيوان والدواب مدعاة للفخر لأن هذه الأمور تمثل عماد الحياة الاقتصادية التي يستطيعون بواسطتها الاستمرار والبقاء¹.

قال تعالى : "والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه " الأعراف 58.

وقوله عز من قائل: " ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة " إبراهيم 24.

وترتبط حياة الطبيعة الحية وغير الحية ارتباطا وثيقا ببعضها البعض ويستحيل بقاء واستمرار أحدهما دون الآخر.

¹ - بتصرف نوري حمودي العبيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، ط1، دار الرشاد، بيروت، 1970/1390

المبحث الثالث: أهمية الطبيعة

الطبيعة هي ملاذ للإنسان وملجأ هروبه من مشكلات الحياة إلى الطبيعة فيتمتع بجمالها وألوانها وأشكالها فتبعث فيه الراحة والطمأنينة.

ولقد أصبحت الطبيعة بالنسبة إلى الشعراء هي الملجأ الوحيد الذي يعبرون فيه عن أفراحهم وأحزانهم، وما يميز شعرهم عن الطبيعة جمالا للموضوع ودقة اللغة ورقة الكلام وسمو المعنى والتعبير الدقيق والعمق، وذلك من خلال الصور الملونة الموجودة في مختلف مظاهر الحياة في الطبيعة.

المبحث الرابع: الطبيعة في العصر الحديث

إذا قارنا وصف الطبيعة في العصر القديم والعصر الحديث وجدنا الفرق واضحا، حيث إن الطبيعة في العصر القديم لم تتخذ موضوعا خاصا وإنما كان الشعر يعرض لها في سياق عرض آخر كالغزل أو المديح ... الخ، وكان يكتفي بأشكالها الخارجية فقط، أي أنه لا يغوص كثيرا في معاني الطبيعة.

أما الطبيعة في العصر الحديث فقد تغنى الشعراء بجمالياتها ومشاهدها وأشكالها وألوانها وغاصوا في أعماقها لاغاية لهم من الاغراض القديمة.

ثم إن الطبيعة في الأدب الحديث (حيوية) عالقة في نفس واصفها وروحه، يحس بضربات
فؤادها ويسمعنم إنشادها ويلذ له التحدث إلأنهارها وغاباتها وجبالها ووهادها وكمثال على ذلك
جيران خليل جبرانحين يقف أمام (الأرض) مقابلا محاسنها بقبايح الإنسان فيقول¹:

ما اجملك أيتها الارض وما أبهاك،

ما اتم امتالك للنور وأنبل خضوعك للشمس

ما أظرفك متشحة بالظل،

وما املح وجهك مقنعا بالدجى،

نحن نضح وأنت تضحكين،

ونحن نذنب، وأنت تكفرين

نحن تجدف وأنت تباركين

نحن ننجس وأنت تقديسين

وكثيرة هي وقفات الأدب الحديث على الطبيعة الجامدة مثلالجبال والأودية والأنهار
والصحاري والنجوم والرياح والبحار حتى ليتعذر حصرها.

¹ - انيس المقدسي ، اتجاه الأدب الحديث إلى الطبيعة ، مجلة الرسالة ، العدد 994 ، 1952/7/21

² - البدائع والطرائف ، جيران خليل جبران، مؤسسة هداوي للتعليم والثقافة ، مصر 2012 ، ص 42

كما كان من شغف الأدب الحديثبتك الطبيعة الجامدة أنحيائها وجعلها ذات شعور وإدراك ونظر، مستوحيا منها الأفكار والخواطر والعبير، وشغف أيضا بالطبيعة الحية من نبات وحيوان فجعلها موضعا لتخيلاته وتأملاته ووسيلة للتحدث عما يعتمل في دواخل حياته.

ففي عالم النبات مثلا يقص علينا جبران خليل جبران حديث البنفسجية التي كانت تطمح أن تكون وردة، وممن استخلص من البنفسجية موضوعا إنسانيا خليل شيبوب إذ وصف جمالها وتواضعها.

تذكر لنا الشجرة شيئا عن حياتها ونشأتها وكيف نمت وأصبحت كثيرة الأغصان وارفعة الظلال تأوي إليها الطيور ويقصد ظلالتها طلاب الراحة.

ثم يصف عالم النبات وأنه هو موطن المساواة والخير للعالم الإنسان الموبوء بالطمع والفساد القائم على التعدي والتدمير...، والشعر الحديث المستوحى من الطبيعة النباتية شعر كثير، ومثله المستوحى من الطبيعة الحيوانية مثل عالم الطيور والحشرات وحيوانات البر والبحر بمختلف ألوانها وأحجامها وأشكالها.

وينظر الشاعر المصري محمود حسن إسماعيل إلى الغراب وهو واقف على غصن شجرة من أشجار النخيل فيتصوره (راهبا) كبير السن واسع الاختيار وعوضا من أن يتطير منه كما يفعل عادة معظم النا، نجده يتلطف معه ويسعى في الاقتراب منه، ثم يلقي عليه أسئلة يستفهم بها عما لم يستطع فهمه من أسرار الحياة راجيا منه أن يجلي له أسرارها ويكشف استارها وهذه

الأسئلة ليست في الحقيقة إلا مايساور نفس السائل لدى تأمله في حياة الناس وأحوالهم وقد اتخذ الغراب وسيلة للتحدث عنها والتعبير عن رأيه فيها.

وفي الخريف يرى إيليا أبو ماضي فراشة وقد دنى أجلها فيجعلها موضوعاً لقصيدته (الفراشة المحتضرة) قوله مخاطباً إياها :¹

فالزهر فيالحقل أشلاءمبعثرة والطير لا طائر الاجناحاك

ياروضة في سماء الأرض طائرة وطائراً كالأقاحي ذا شذى ذاك

مضى مع الصيف عهد كنت لاهية على بساطمن الأحلامضحاك

تمسينعند مجاريالماء نائمة وللأزهار والأعشاب مغداك

يا نعمة تتلاشى كلما بعدت أن غبت من مسمعي ما غاب معنالك

وكما يتأثر الأدب الحديث بالطبيعة الشرقية يتأثر كذلك بالطبيعة الغربية وقد نشر الشاعر

محمد عبد الغني كلمة في مجلة الرسالة² موضوعها (شعراء الشرق والطبيعة الغربية) ذكر فيها

أن كثيراً من شعراء الشرق الذينهاجروا إلى البلدان الغربية تغنوا بمحاسن الطبيعة هناك ومنهم

إيليا أبو ماضي وميخائيل نعيمة وفخري أبو السعود وغيرهم.

1 - إيليا أبو ماضي، ديوان خمائل ، دار كاتب الكتاب، بيروت، 265-266

2 - انيس المقدسي ، اتجاه الادب الحديث الى الطبيعة ، مجلة الرسالة، العدد 994 ، 21-7-1952.

كما نجد أن الطبيعة في العصر الحديث قد سحرت أنفس كثير من الشعراء العرب وأخذت
بألبابهم وملكت عليهم عواطفهم واعتبروها ذات حياة وروح يمكن مخاطبتها ومناجاتها ومبادلتها
الأفكار والعواطف بنهم وبينها.

الفصل الثالث

رمز الطبيعة الحية في

شعر إيليا أبي ماضي

المبحث الأول : رمز الطبيعة الحية وبناء الصورة

من المعروف عن الشاعر إيليا أبي ماضي أنه يتغنى كثيرا بالطبيعة الحية في قصائده مستعملا بذاك الرموز في شكل صور بيانية، ونجد ذلك في قصيدته (التينة الحمقاء):

وَتِينَةٌ غَضَّةُ الْأَفْنَانِ بَاسِقَةٌ قَالَتْ لِأَتْرَابِهَا وَالصَّيْفُ يُخْتَصِرُ
بُسِّ الْقَضَاءِ الَّذِي فِي الْأَرْضِ أوجدني عندي الجمالَ وغيري عنده النظرُ
لأحبسَنَّ على نفسي عوارفها فلا يبين لها في غيرها أثرُ
كم ذا أكلف نفسي فوق طاقتها وليس لي بل لغيري الفيء والثمر¹
لذي الجناح وذي الأظفار بي وطرُ وليس في العيش لي فيما أرى وطرُ
إني مفضلةٌ ظلي على جسدي فلا يكون به طولٌ ولا قصرُ
ولست مُثمرةً إلا على ثقة أن ليس يطرُقني طيرٌ ولا بشرُ

*

عاد الربيع إلى الدنيا بموكبه فازينت واكتست بالسندس الشجرُ
وظلت التينة الحمقاء عاريةً كأنها وتدٌ في الأرض أو حجرُ
ولم يطق صاحب البستان رؤيتها فاجتثها فهوت في النار تستعيرُ
من ليس يسخو بما تسخو الحياة به فإنه أحمق بالحرص ينتجر¹

1 - إيليا أبي ماضي، الجداول، دار كاتب وكتاب، بيروت، 1988، ص 46.

- 1- الاستعارة المكنية : في قوله : إني مفصلة ظلي على جسدي :، هنا حذف المشبه به وهو " الإنسان"، وترك قرنية لفظية دالة عليه وهي " جسدي"، والمشبه " التينة". وفي قوله أيضا: " قالت لأترابها" استعارة مكنية حيث ذكر المشبه " التينة" وحذف المشبه به " الإنسان" وترك قرنية دالة عليه وهي " قالت" حيث إن الإنسان هو الذي في صفاته القول وليس التينة.
- ونجد استعارة مكنية أخرى في قوله " عاد الربيع إلى الدنيا بموكبه" حيث أبقى على المشبه وهو الربيع وحذف المشبه به وأبقى قرنية لفظية دالة عليه وهي (عاد). ويلاحظ أيضا ما في قوله (الصيف يحتضر) من صورة الاستعارة المكنية المشخصة للصيف وهو فصل زمني من فصول السنة.
- 2- الكناية: في قوله: "الصيف يحتضر"، وهي كناية عن قرب موعد نهاية التينة وموتها.
- وتوجد كناية أخرى موجودة في " لذي الجناح وذو الأظفار".
- " لذي الجناح" كناية عن موصوف هو الطير.
- " ولذي الاظفار" وهي كناية عن موصوف هو البشر.
- أي أن الطير والبشر يحتاجان إلي ويطلبان ثماري وظلي، ولا يمكن لأي منهما أن يستغني عن خدماتي وفضائلي.
- 3- التشبيه: نجد التشبيه في قوله: " كأنها وتد في الارض أو حجر" حيث إنالشاعر هنا شبه التينة بالوتد أو الحجر العاري فوق الأرض المهمل، فالكاف " ك"أداة تشبيه، و"الوتد أو الحجر" مشبه به " التينة" مشبه، ووجه الشبه صفة الانسلاخ من أية فائدة أو أمل أو حياة.

ونجد أيضاً الصورة البيانية توفرت في الكثير من قصائد إيليا أبي ماضي منها قصيدة (دودة وبلبل)، من ديوان "تبر وتراب" حيث يقول :

نظرت دودة تدبّ على الأرض إلى بلبل يطير ويصدح
فمضت تشتكي إلى الورق الساقط في الحقل أنهالم تجنّح
فأنت نملة إليها وقالت اقنعي واسكتي فما لك أصلح
ما تمنيت إذ تمنيت إلا أن تصيري طيرا يصاد ويذبح
فالزمي الارض فهي أحنى على الدود وخليّ الكلام فالصمت أريح¹

1- الاستعارة المكنية:

- نجد الاستعارة المكنية في قوله: "فمضت تشتكي إلى الورق الساقط"، حيث شبه الدود بالإنسان وهو المشبه به غير مصرح به، وترك على قرينة لفظية دالة عليه وهي تشتكي.
- في قوله أيضاً "نظرت دودة" استعارة مكنية هنا حذف المشتبه به وترك المشبه "دودة" والقرينة اللفظية (نظرت).
- استعارة مكنية أيضاً في قوله (فأنت نملة إليها وقالت)، هنا حذف المشبه به وهو الإنسان الذي من صفاته القول وهي قرينة لفظية دالة عليه، وترك على المشبه وهو نملة.
- الاستعارة التصريحية: في قوله "أن تصيري طيرا" حيث إنه صرح بالمشبه به وهو طيرا، وحذف المشبه وهو دودة.

2- الكناية: تجنح، وهي كناية عن موصوف وهو الطير الذي به أجنحة.

كما نلمس أيضاً اعتماده على الصور البيانية في قصيدته (الكنار الصامت) حيث قال فيها

¹ - ديوان تبر وتراب، المرجع السابق، ص 559.

الفصل الثالث: رمز الطبيعة الحية في شعر إيليا أبي ماضي

نسي الكنار نشيده فتعال كي ننسى الكنار
و ليقذفنّ به الملا لمن القصور إلى القفار
و لترمينّ بريشه للأرض عاصفة النفار
ولنستعض عنه بطير من لجين أو نضار
لا لا فإن سكت الكنار فلميز لذاك الكنار
أو كان فارقه الصداح فلم يفارقها لوقار
صمت الكنار وإن قسا خير من النغم المعار
صبرا فسوف يعود للت غريد إنعاد النهار¹

1- الاستعارة المكنية

في قوله (نسي الكنار نشيده) هنا حذف المشبه به وهو (الإنسان)، الذي من صفاته النسيان وترك المشبه وهو (الكنار) والقرينة اللفظية الدالة على المشبه به هي (نسي).

2- الكناية

- ✓ فارقة الصداع: كناية عن صفة الصمت وعدم التغريد .
- ✓ لم يفارقه الوقار: كناية عن صفة مكانته وعظمته وهيئته الجليلة.
- ✓ عاد النهار: ذهب الظلام والحزن من حياته وعاد النور عليها والفرح.

المبحث الثاني: رمز الطبيعة الحية وعلاقات البديع

¹ - المرجع السابق، ص 280/279.

- نجد المحسنات البديعية متنوعة وكثيرة في قصائد إيليا أبي ماضي منها قصيدة

- (التينة الحمقاء):

01- **الجناس** : التام : حجر - شجر، وهو جناس ناقص من جهة اختلاف

المفردتين في نوع الحرف بين الحاء والسين، والجناس محسن بديعي لفظي، له

أثره البالغ في إحداث التشابه الصوتي الذي تأنس له أذن السامع.

02- **السجع**: يحتضر، النظر، اثر، ثمر، وطر، بشرا، قصر، حجر، شجر.

03- **الطباق**: طول † قصر، عارية † اكتست، وهو طباق الإيجاب الواقع بين

مفردتين مثبتتين، وفي قوله أيضا: تسخو † ليس تسخو، وهو طباق السلب

الحاصل باجتماع معنيين متضادين بواسطة نفي أحدهما عن طريق الفعل

الناقص (ليس)، والطباق محسن بديعي معنوي، له أثره في تعميق الفكرة التي

يود الشاعر توصيلها بطريقة فنية.

04- **التصریح**:

لذي الجناح وذي الأظفار وطر وليس في العيش لي فيما أرى وطر

والملاحظ أن هذا التصريح لم يأت في البيت الأول وهو ما يدل على هامش الحرية

التي يرها إيليا أبو ماضي ضرورية في قول الشعر، ولا يلزم الشاعر أن يتقيد بها تقيدا

صارما، ولكن ذلك لا يحملن الشاعر على نبذ التصريح أو نفيه من قصائده، فمتى

جاء عفوا فهو جميل.

- ونجد المحسنات البديعية في قصيدة (دودة وبلبل):

01- **السجع** : يصدح، أريج، يذبح، تجنح. نظرت قالت، اسكتي، تشتكي،

اقنعي.

02- **الطباق**:طباق الإيجاب: تدب † تطير، الكلام † الصمت

- كما نجد المحسنات البديعية في قصيدة (الكنار الصامت):

01- الجناس : القفار والنقار

02- السجع :الكنار، القفار، النفار، نفار، الوقار، المعار، النهار،

03- الطباق:

• طباق الإيجاب: سكت † تغريد، يفارقه †يعود.

• طباق السلب: فارقه † لم يفارقه

04- التدوير:

- لا ، لا ، فإن سكت الكنار فلم يزل ذاك الكنار

- أو كان فارقه الصداح فلم يفارقه الوقار

- صبرا فسوف يعود للت تغريد إنعاد النهار

05- المقابلة :

- أو كان فارقه الصداح ← فلم يفارقه الوقار

المبحث الثالث: رمز الطبيعة الحية وتنوع الأساليب

*الأساليب الخيرية والإنشائية في قصيدة " التينة الحمقاء".

- الأساليب الخيرية: توفرت بكثرة في القصيدة، لأن الشاعر يسرد قصة التينة ذات البداية والوسط والنهاية التي تحتل الصدق أو الكذب، فهي تحمل في طياتها الكثير من المواعظ والعبر عن طريق جمل مباشرة وواضحة مثل: (قالت لأترابها- كنت مثمرة- عندي الجمال...الخ).

- الأساليب الإنشائية: الاستفهام في قوله: كم ذا أكلف نفسي؟ وفي الأصل أن (كم) هنا تفيد الإخبار بكثرة ما تجتهد التينة في خدمة الآخرين، وفي قوله: "بئس القضاء الذي في الأرض أوجدني" وهو أسلوب الذم لهذه الحياة المقتصرة على خدمة الآخر وإسعاده من دون مقابل منه، وهو من الأساليب الإنشائية غير الطلبية، وغرضه الدلالة على الملل والسأم والتشاؤم.

*الأساليب الخيرية والإنشائية في قصيدة " دودة وبلبل".

- الأساليب الخيرية: في قوله "نظرت دودة تدب على الأرض"، "فمضت تشتكي"، "فأنت نملة إليها وقالت".

- الأساليب الإنشائية: الأمر "اقنعي وأسكتي"، "قالزمي الأرض"، التمني: "أنها لم اجنح"، التعجب "إذا تمنيت إلا أن تصيري طيرا يصاد ويذبح".

*الأساليب الخيرية والإنشائية في قصيدة " الكنار الصامت".

- الأساليب الخيرية: في هذه القصيدة سرد لنا الشاعر قصة الكنار التي تحتل الصدق أو الكذب للموعظة والحكمة في قوله "نسي الكنار"، و"صمت الكنار"، و"فسوف يعود للتغريد" و"فإن سكت الكنار".، من الخبر أيضا نجد النفي في قوله:

لا ، لا ، فإن سكت الكنار فلم يزل ذاك الكنار

فقد كرر الشاعر نفي تبدل وتحول الكنار عن طبعه بواسطة التوكيد اللفظي بتكرار حرف الجواب "لا" للدلالة على ثبات الكنار على أصله وعادته، وكانت دلالة الإثبات بواسطة نفي النفي، لأن الزوال يدل على التحول، ونفي الزوال بقوله: "لم يزل" يدل على الثبات. الأساليب الإنشائية: ورد الأسلوب الإنشائي في مطلع القصيدة عند قوله: "فتعال كي ننسى الكنار" فقوله (تعال) دعوة للحضور، وهو اسم فعل أمر بمعنى (أقبل) والأمر من أشهر الأساليب الطلبيّة، ومن الملاحظ فيه أن العدول من فعل الأمر الصريح (أقبل) إلى اسم فعل الأمر (تعال) فيه شئ من الإغراء بغض الطرف عن هذا البلبل الجميل...، كم نجد أسلوب التمني (فسوف يعود للتغريد) وهو أسلوب إنشائي طلبى، غرضه التفاوض.

المبحث الرابع: رمز الطبيعة الحية ودوره في تشكيل شعرايليا أبي ماضي

من المعروف عن الشاعر إيليا أبي ماضي أنه من أكثر الشعراء استخداماً لرمز الطبيعة الحية في أشعاره، ذلك أنها تمثل ملجأ الوحيد لترجمة عواطفه كما يريد، في شكل صور بيانية ومحسنات بدعية تعطي لشعره جمالا وعمقا، فمثلا في قصيدة "التينة الحمقاء" يريد الشاعر إيصال فكرة أن حماقة وعدم الرضى عن النفس كما هي عليه تؤدي بصاحبها إلى السقوط في الهاوية، بطريقة عرض قصة ممتعة وشيقة مستخدماً فيها الطبيعة في شكل رموز مما بسط لنا الفكرة، فتمتعنا بقراءتها واستقدنا من حكمتها بطريقة غير مباشرة، حيث إننا من خلال قراءتها وصلتنا الفكرة التي أراد الشاعر إيصالها لنا دون أن ننتبه لذلك، فالتينة مثلاً كان يقصد بها الإنسان الذي لا يرضى بالقضاء والقدر، وهروبه من الخير والعطاء والمساعدة للآخرين، والتركيز على حبه لنفسه، وأما نيتها بالبخل وغرورها فلم يؤديها إلا إلى التهلكة.

والشاعر إيليا أبو ماضي من أبرز الشعراء الذين اهتموا بإصلاح النفوس البشرية فكان شعره قصصيا اجتماعيا، وهذه القصيدة من أجمل القصائد المعبرة التي عالجت قصة اجتماعية مهمة جدًا في تكوين فرد واعٍ عارف بهدفه واقف على ما يفيد حريص على ربط الصلة بينه وبين أفراد مجتمعه.

ونجد أيضًا من قصائده التي تحمل في طياتها أهدافا وعبرا إنسانية قصيدة (دودة وبلبل) التي يسرد فيها مشكلة الدودة المغرورة حين لم ترض بما خلقت عليه، وأرادت أن تكون كالبلبل المحلق في السماء، فهي لعدم نضجها ووعيها ولعدم قناعتها لم تر الجانب الآخر للبلبل وهو كونه هدفا للصيد والذبح، ونظرت إليه فقط على أنه حر يذهب أينما أراد ويغرد بصوته العذب حيث شاء، فما كان من النملة إلا أن نصحتها بأن الأرض أرحم لها، وأن الله أدري بما خلقت عليه، وأن لا تمد عينها وطمعها إلى ما ليس من شأنها ولا من أمرها، فالبلبل الذي تريد أن تكون مثله سوف يصطادونه يأكلونه.

إنَّ العبرة من هذه الأبيات هي إنسانية المنشأ والهدف، تدعو الناس بالمثل القصصي المضروب إلى أن رضى النفوس بما خلقت عليه هو مكن الأمن والطمأنينة والسلامة، أما النظر إلى ما في أيدي الناس وما هم عليه فلا يزيد صاحبه إلا إلى الفناء والهلاك والتلاشي.

وعلى الرغم من استخدام الشاعر الكبير لعناصر الطبيعة وحشده لها في شكل رموز إلا أنه تمكن من تحقيق مبتغاه وهو إيصال فكرة القناعة والرضا بالقضاء والقدر.

كما استوقفنا أيضًا مجموعة من النصائح المتضمنة في قصيدة (الكنار الصامت)، وهي أن الشاعر أراد أن يوصل إلى المتلقي فكرة أنا الإنسان مهما بلغ حزنه ووجعه فعليه لا يتخلى عن هيبته واعتزازه بنفسه، كي لا يقذف به في الفراغ المتروك ويتم استبداله، وهنا يتحدث الشاعر عن الإنسان، في صفة كنار يُقرب المعنى أكثر، فالكنار إن صمت من كثرة حزنه فسيؤدي به ذلك إلى قذفه من القصور إلى الرياح الخارجية العاتية، ويستبدلون به آخر مغرد جميل الوجه،

فاحذر أيها الإنسان من ساعات الفراغ واليأس والحزن، وعليك ألا تتخل عن هيبتك وثباتك وورزانتك، وسوف يعود لك الفرح عندما يذهب الحزن والوجع حتمًا.

وهنا يختار الشاعر إيليا أبو ماضي رمزًا من الطبيعة الحية التي كانت كفيّلة بترسيخ فكرته في نفوس القراء بكل سلاسة وبساطة بمثال حي موجود أمامنا دائمًا تعيش في هذه الطبيعة التي تنعم بالحياة المبسّطة في كل عناصرها الحية.

الخاتمة

في الختام لا يسعنا إلا أن نقول إن الشاعر إيليا أبا ماضي قد أحسن استخدام رموز الطبيعة في شعره، مما أكسبه عمقاً وإيحاءً وجمالاً، فكان تأثيره بذاك بالغاً في أنفس القراء حيث أضاف لشعره بتلك الرموز دلالات توطيد بالتجربة الشعورية والتأملية، فكانت الطبيعة أداة مترجمة لذلك الشعور النابع من شاعر مبدع ذي إحساس صادق يعالج به قضايا الحياة بعمق، فدائماً ما كان ينقل لنا الحياة اليومية بكل جوانبها، وذلك في شكل رموز طبيعية بسيطة الصورة بالغة الأثر في ذهن المتلقي، كما أن للرموز دوراً كبيراً في تحريك فكره وشعره لهذا كانت الطبيعة ملجأه الوحيد الذي وجد فيه كل مبتغاه فهي تلهمه وتغذي خياله وإحساسه وتسمو بشعره إلى أعلى المراتب، ذلك أنه يغلب على أسلوبه الطابع العقلي المتأمل المستثمر لكثير من الرموز المتنوعة الدالة على الإنسان، لأن كل ما في هذا الكون هو في حقيقته ما وجد إلا لخدمة الإنسان.

ومن الملاحظ أن الشاعر إيليا أبا ماضي يتربع على هامش من الحرية الفنية في انتقائه واستخدامه للرموز والصور البيانية ومحسنات البديع، فهو يراها ضرورية لإبداع الشاعر وتساعد في إيصال الفكرة والتأثير بها، ولا يراها مقيدة لأفكاره وأسلوبه فينتج بذلك عملاً فنياً لا مثيل له، ويصل إلى مبتغاه كما يريد، حيث يحرص إيليا أبو ماضي على كتابة الشعر الاجتماعي بشكل قصصي لتقديم المواعظ، والنصح من خلاله لإصلاح المجتمع، ومن تلك النصائح نجد أنه يدعو إلى التخلي عن الحماقة والغرور وعدم الرضى، ويحث على التفاؤل والاشتغال بالوجه الجميل للحياة والإيمان بقضاء الله وقدره، داعياً الأنفس إلى الفناعة بما قسم الله لها.

وفي الأخير نجد بأن للشاعر إيليا أبي ماضي قراء مميزون مثل شعره المميز، الذي به جاذبية لا يقاومها من كان له حس وخيال واسع، يُمكنه من التغلغل داخل بحور تلك الأشعار الفريدة المعبرة التي تحمل في طياتها التأمّلات والمواعظ والحكم والجمال.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر:

- أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي محمد بن مكرم بن علي،
لسان العرب، المجلد الخامس، دار صادر - بيروت
- إيليا أبو ماضي ، ديوان خمائل ، دار كاتب الكتاب ، بيروت.
- إيليا أبو ماضي ، الجداول ، دار كاتب و كتاب ، بيروت ، 1988

المراجع:

- ابن الساعاتي، الديوان، تح: أنيس المقدسي، المطبعة الأمريكية، بيروت، ط 1، 1938.
- أحمد محمد فتوح الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة،
1984.
- أنس داود، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، دار الجيل للطباعة.
- أنسيب المقدسي، اتجاه الأدب الحديث بالطبيعة، مجلة الرسالة، العدد 994، 21-7-1952.
- امرؤ القيس الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط 4.
- جبران خليل جبران، البدائع والطرائف، مؤسسة هداوي للتعليم والثقافة، مصر 2012.
- جودة نصر عاطف: الرمز الشعري عند الصوفية، الطبعة الأولى دار الأندلس، الكندي للطباعة
والنشر والتوزيع، بيروت، 1978.

- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث، الطلعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1986.
 - رنيه وليكا وأونستيوارن، نظرية الأدب، تعريب عادل سلامة، دار المريخ، المملكة السعودية.
 - شارلز شادريك، الرمزية، ترجمة نسيم ابراهيم يوسف، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.
 - السيد محمد على، أحمد داود، الاتجاهات الفنية في شعر إيليا أبي ماضي في مادة الأدب والنقد.
 - طرفة بن العبد، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2002.
 - عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية، الطبعة الثالثة دار الفكر العربي.
 - علي عسير زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، أكاديمية مصر، القاهرة، 1417هـ/1997م
 - نسيب نشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر الإبتاعية الرومنسية الواقعية الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984.
 - نور حمودي العيسى، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ط1، بيروت، 1390، 1970.
- المجلات:
- مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد: 21، 4، 2011.

الفهرس

الصفحة	العنوان
	الشكر والعرفان
1	مقدمة
	مدخل نبذة عن حياة الشاعر إيليا أبي ماضي
05	1- تاريخه
06	2- مؤلفاته
06	3- أطوار شعره
07	4- مميزات شعر إيليا أبي ماضي
21	
	الفصل الأول: حقيقة الرمز
10	المبحث الأول: مفهوم الرمز لغة
12	المبحث الثاني: أنواع الرمز
17	المبحث الثالث: خصائص الرمز
21	المبحث الرابع: أسباب بروز الرمز في الأدب العربي
	الفصل الثاني: الطبيعة الحية
24	المبحث الأول: تعريف الطبيعة
24	المبحث الثاني: الطبيعة الحية والميتة
34	المبحث الثالث: أهمية الطبيعة

34	المبحث الرابع: الطبيعة في العصر الحديث
الفصل الثالث: رمز الطبيعة الحية في شعر إيليا أبي ماضي	
40	المبحث الأول: رمز الطبيعة الحية وبناء الصورة
44	المبحث الثاني: رمز الطبيعة الحية وعلاقات البديع
46	المبحث الثالث: رمز الطبيعة الحية وتنوع الأساليب
47	المبحث الرابع: رمز الطبيعة الحية ودوره في تشكيل شعر إيليا أبي ماضي
51	الخاتمة
54	قائمة المصادر والمراجع
57	الفهرس